

## فيلم فلسطين 36 يزيل قناع "الانتداب" البريطاني

رنا عناني، فلسطين

في سنة 1939 حُجزت كتيبة البلاك ووتش (Black Watch Battalion) في الجيش البريطاني نحو 150 رجلاً وطفلاً من أهالي بلدة حلحول في ملعب مدرسة البلدة انتقاماً، وأُحيط الملعب بالأسلاك الشائكة. جاء ذلك بعد أن أطلق فدائيون النار على طائرة بريطانية كانت تحلق في أجواء البلدة، ما أدى إلى إصابتها وتحطّمها. كان الطقس شديد الحرارة، ولم تقدّم للرجال المحتجزين تحت الشمس الحارقة أيّ طعام، بل قدّمت لهم كميات قليلة من الماء لتبقيهم فقط على قيد الحياة. استشهد أكثر من 18 شخصاً، معظمهم من الأطفال وكبار السن، فيما عرف بـ"تيل حلحول". طالب البريطانيون الأهالي بالإفصاح عن مخبأ ادّعوا أن فيه 150 قطعة سلاح. ويروى أن أحد الرجال المحتجزين تطوّل أن يدلّ الإنجليز على هذا السلاح، فمشى وتبعه الجنود إلى أن وصل إلى بئر ماء، وقال إن السلاح بداخلها، وألقى بنفسه داخل البئر ليشرب. كانت تلك حيلة ابتدعها الرجل من شدّة العطش، وعندما أدرك الجنود ذلك أطلقوا النار عليه وتركوا جثته داخل البئر.<sup>1</sup>

هذه إحدى القصص التي يتناقلها أهالي بلدة حلحول عن سنوات احتلال بريطاني وحشي لفلسطين، والتي اصطلح على تسميتها بـ"انتداب" في محاولة لتجميل صورة الاستعمار البريطاني لفلسطين أو تخفيف وطأته. عند مشاهدة فيلم **فلسطين 36** (2026)،<sup>2</sup> بإخراج آن ماري جاسر، تداعت إلى مخيّلتي تلك القصة التي كان يرويها والدي، وخاصّة أن أحد المشاهد يحاكي ما حدث في "تيل حلحول" مع اختلاف بعض التفاصيل. فسياسة العقاب الجماعي سياسة بريطانية بامتياز طوّقتها بريطانيا في فلسطين قبل أن يتبنّاها الاحتلال "الإسرائيلي" ويطوّرها ويجعلها أداة في صلب سياساته ضدّ الفلسطينيين.

أما "بلاك ووتش"، الفرقة البريطانية التي أُجرت بحق الأهالي في "تيل حلحول"، فقد عرفت كذلك بقيامها بمجازر بشعة في أنحاء مختلفة من فلسطين. ففي السنة التي سبقتها، أي في 1938، ارتكبت مجزرة في قرية البصّة قرب عكا، بعد أن أُجبرت عشرين رجلاً من القرية على الصعود في حافلة، وقيادتها تحت تهديد السلاح فوق لغم أرضي، ما أدى إلى انفجارها واستشهاد الرجال العشرين.<sup>3</sup> هذه الحادثة الدموية نراها كذلك في فيلم جاسر **فلسطين 36**، وتمثّل العنف الاستعماري الذي بدأ في مرحلة سبقت نكبة 1948، ولم تكن سوى مقدمة لزرع المشروع الصهيوني في المنطقة.

يلعب هذا الفيلم، الموجّه إلى جمهور غربي بالأساس، دوراً مهماً في وضع النقاط على الحروف، فيشير إلى السياسات البريطانية الرسمية التي لعبت، وما تزال تلعب، دوراً كبيراً في مأساة فلسطين، وخاصّة أن الحكومة البريطانية ما زالت متورّطة في تقديم الدعم العسكري واللوجستي لاستمرار الإبادة والمجازر الدموية والمحو في غزة حتى اليوم. ويسلّط الفيلم الضوء على فترة زمنية هامّة أغفلها السينمائيون الفلسطينيون إجمالاً، بتقديم التاريخ الفلسطيني وكأنه يبدأ منذ النكبة. يتناول فيلم **فلسطين 36** الثورة الفلسطينية في العام 1936 بشكل درامي ويركّز على الدور البريطاني المفتاحي في هذه المرحلة المفصلية في التاريخ الفلسطيني، بما في ذلك الدعم البريطاني للميليشيات الصهيونية ضدّ المقاومة الفلسطينية في ثورة 1936-1939، والأساليب القمعية البريطانية، التي أورتوها للصهاينة عن سبق تخطيط، وكثير من هذه الأساليب ما يزال يستخدم حتى الآن.

يروى الفيلم قصة قرية فلسطينية متخيّلة اسمها "البسمة" تعرّض للبطش البريطاني، بدءاً بالاعتداءات على أهلها وتفتيش بيوتها وتخريبها وخلط المواد الغذائية ببعضها من طحين وزيت وغيرها من المونة، وانتهاء بالاعتقال والإعدام والقتل وحرق القرية بالكامل. وفي الخلفية نرى الهجرة اليهودية وبناء المستوطنات والثورة والتأمّر عليها داخلياً وخارجياً. وفي هذا السياق، يقول المؤرخ الفلسطيني رشيد الخالدي: "لفهم فلسطين، عليك أن تفهم أكثر الاستعمار البريطاني بشكل عامّ، وكيف بدأ في أيرلندا."<sup>5</sup> ويجادل الخالدي أن العديد من التكتيكات التي استخدمها الصهاينة في فلسطين اليوم اختبرها الاستعمار البريطاني ونفّذها للمرة الأولى في أيرلندا، ومنها سياسة العقاب الجماعي، وتعذيب المعتقلين، وإعدام الأسرى، وتدمير الممتلكات الخاصّة والعامة، والاعتقال الإداري الذي تمارسه "إسرائيل" بحقّ الأسرى اليوم، وكذلك التسلّل المموّه بلباس مدني (أي ظاهرة "المُستعربين"). كلّ تلك الأساليب التي مارسها البريطانيون ضدّ الأيرلنديين،<sup>6</sup> نقلوها إلى فلسطين، وعلموها للصهاينة الذين لم يتبنّوها بحذافيرها فحسب، وإنما طوّروها كذلك.

وبالنظر إلى التاريخ فإن كبار الضباط في الجيش البريطاني، أمثال أودري وينغيت، أنشأوا الوحدات الليلية الخاصّة في فلسطين. وهي مزيج بين الوحدات البريطانية والعصابات الصهيونية قادت عمليات هجومية إرهابية ضدّ القرى الفلسطينية ليلاً. وكانت تلك الفرق نواة لتكوين العصابات الصهيونية مثل "البالماخ". كما درّب البريطانيون قادة صهاينة قاموا بمجازر ضدّ الفلسطينيين لاحقاً، أمثال يغال ألون وموشيه ديان الذي تدرّب على يد وينغيت نفسه، "وأعجب بقساوته المطلقة" ورغبته في إطلاق النار على الثوّار العرب على الفور، ليصبحوا مثلاً للآخرين.<sup>7</sup> وبعتراف القادة "الإسرائيليين" أنفسهم فإن وينغيت، الذي عُرف بهوسه بالعنف، هو بمثابة الأب الروحي لعقائد جيش الاحتلال "الإسرائيلي" الذي كان له دور تأسيسي فيه وفي التأثير على عقيدته منذ بداياته.<sup>8</sup>

تظهر في الفيلم شخصية بريطانية أخرى لعبت دوراً هاماً في سياسات القمع ضدّ الفلسطينيين، وهو تشارلز تيغارت، الخبير البريطاني في التحقيق والتعذيب والذي كان يمارس خبراته في المستعمرات البريطانية في الهند وأيرلندا قبل أن يمارسها في فلسطين. فعلى غرار ما قام به تيغارت في الهند وأيرلندا، أسّس سلسلة من مراكز

التعذيب في فلسطين مخصّصة للعرب، وينسب إليه كذلك إنشاء "قلاع تيغارت" والتي نسمّيها اليوم بمباني "المقاطعة". وكان البريطانيون ومن ثم "الإسرائيليون" قد اتخذوا مقرّات في المدن الفلسطينية الرئيسية، للسجن والتعذيب والقمع ضدّ الفلسطينيين.<sup>9</sup>

تقول المخرجة آن ماري جاسر إن أحداث الفيلم استمدّت من قصص سمعتها عن فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين، واضطّرت لتخفيف وطأة بعضها لتناسب العرض السينمائي أمام جمهور عالمي عريض.<sup>10</sup> وبالفعل يحاكي الفيلم جمهوراً عالمياً في وقت يحاول الكثيرون، ومنهم أجيال جديدة ولدت ما بعد اتفاقيات أوسلو 1993، فهم ومعرفة جذور المشكلة في فلسطين وسط إعلام غربي مضلّ طوال سنوات الاحتلال. وقد ازدادت مواقف هذا الإعلام وضوحاً في انحيازه للمشروع الكولونيالي في فلسطين خلال السنتين والنصف الأخيرتين إبّان حرب الإبادة على غزة، والحرب المفتوحة على فلسطين ولبنان ودول الجوار الممانعة.

## المرأة

تعيد جاسر في فيلمها فلسطين 36 الأهمية لدور المرأة النضالي في السينما الفلسطينية. فالمرأة في فيلمها هي المرأة المناضلة القوية في كلّ مواقعها، فهي: الأم، والأخت، والزوجة، والابنة، والفلاحّة، والصحفية، والناشطة، والمتقفة، والقيادية. والمرأة الفلسطينية في الفيلم لا تدعم الثورة فحسب وإنما تشارك فيها، فتظهر في دورها الناشط والفاعل، وفي موقع صنع القرار جنباً إلى جنب مع الرجل دون شعارات نسوية فارغة، وبعيداً عن الصور النمطية والتقليدية للمرأة الفلسطينية، وإنما بتمثيلها بكرامة كما تستحق، وبشكل ذكيّ وغير مباشر. وهذا أمر قلماً يُشاهد في السينما الفلسطينية، إذ في العادة تلعب المرأة دوراً تقليدياً وثانويّاً يكرّس صورها النمطية التابعة.

وبالعودة إلى "تيل حلحول"، وبحسب ما يتناقله أهل القرية حتى اليوم، فقد تجمعت نساء القرية بعد أن رأين أزواجهن وأبناءهن يموتون ظمأً وجوعاً في الحصار على أرض ملعب المدرسة، وسرن على الأقدام من البلدة إلى القدس (أي حوالي 45 كيلومتراً)، ووقفن معتصمات أمام مقرّ المندوب السامي البريطاني مطالبات بفكّ أسر رجال القرية المحتجزين. وقد لعب ذلك الاعتصام، الذي دام لأيام، دوراً مهماً في إطلاق سراح الرجال.<sup>11</sup> وبشكل مماثل، صوّرت جاسر مجموعة من النساء الناشطات اللواتي يسرن في مظاهرة احتجاجية وينشدن الأغاني الوطنية أمام مقرّ المندوب السامي، ويطالبن بإطلاق سراح رجال القرية المعتقلين.

## النقد الفلسطيني: إحباط متراكم

الفيلم الموجّه لجمهور غربي أثار انتقادات واسعة فلسطينياً تركّز معظمها على لوم الفيلم لإغفاله ذكر معلومات أو أحداث أو شخصيات. فأشار البعض مثلاً أن الفيلم لم يتمكّن من تمثيل ثورة العام 1936 وزخمها، وأنه لم يتناول قادة أساسيين في الثورة، مثل عزّ الدين القسام الذي استشهد في سنة 1935، ويُعدّ استشهاده الشرارة

التي أطلقت الثورة، ومثل رموز المقاومة كعبد الرحيم الحاج محمد الذي استشهد في سنة 1939 في أوج نضاله ضدّ الإنجليز والصهاينة. هذا بالإضافة إلى خلط الفيلم بعض الأحداث. وقد رأى آخرون عدم تفصيل الفيلم لتورط البريطانيين في التدريب العسكري للصهاينة كما ينبغي، بينما رأى بعض آخر أن الاستعمار لم تبدأ جذوره في العهد البريطاني وإنما بدأت في العهد العثماني. وعلى الرغم من وجهة الملاحظات، إلا أن لكل فيلم رؤيته ومنظوره الخاص، وأعتقد أن انتقادات الفيلم هذه، تعكس إحباطاً فلسطينياً متراكماً على مدى 78 عاماً من محاولات إيصال الرواية الفلسطينية كاملة إلى العالم دون جدوى. ومع بدء الإبادة في غزة في الأشهر الأخيرة من سنة 2023، أتضح أكثر من أي وقت مضى أن الجماهير الغربية العريضة لم تكن تعرف شيئاً عن جذور مشكلة الاستعمار الصهيوني في فلسطين.

ولأن الفيلم يأتي في لحظة يقظة عالمية متصاعدة تجاه القضية الفلسطينية، ويضع المجازر الحالية في غزة والتطهير العرقي ومحاولات الإزالة في الضفة الغربية في سياقها التاريخي، ويسلط الضوء على مسؤولية الغرب الأخلاقية عن المشروع الكولونيالي الذي زرعه في المنطقة وقدّم له الدعم طوال تلك السنين... فقد لقي كثيراً من الاهتمام. وعلى الرغم من أن التفاصيل التي يقترحها المنتقدون مهمة، إلا أن غيابها ليس كارثة، ذلك أن **فلسطين 36** ليس فيلماً وثائقياً وإنما دراما تاريخية تركز على قصة فيها كثير من الخيال القريب من الواقع، استخدمت فيه جاسر أجزاءً حقيقية من الأرشيف المصور الذي ينتمي إلى تلك الحقبة والذي جرى تلوينه بعناية إلى درجة صعوبة ملاحظته في الفيلم.

ما يميّز الفيلم هو شكله الدرامي الرائج الموجه إلى جمهور عالمي لا يعرف عن فلسطين إلا ما يراه عبر وسائل التواصل الاجتماعي. يقدم **فلسطين 36** تجربة سينمائية سهلة الفهم، قابلة للعرض حتى في المدارس الغربية كأداة تعليمية عن جذور المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين. فالسرد في الفيلم واضح للمشاهد الذي يشعر وكأنه طرف ثالث في القصة، وتأتي المشاهد على شكل دفعات إيقاعية تحافظ على الانتباه. أما الحوارات فهي قصيرة ومفهومة وخالية من المبالغة والحشو، وتراعي لقطاته العدالة بين الشخصيات، فتظهر تعابير الوجه والمشاعر دون التركيز على شخصية معينة دون غيرها، أي لا يوجد "بطل" واحد. وبشكل عام، فإن الأداء في الفيلم لا يتحدّى المشاهد، بل يأخذه معه من البداية وحتى النهاية. تقول جاسر "أردتُ أن يكون هذا الفيلم عملاً جماعياً، كما هي الثورة، وأن يتمحور حول عدد كبير من الشخصيات. العديد من الأشخاص قبلوا أن يشاركوا حتى بدور صغير، أو بمشهد واحد، لا سيّما ممثلين مشهورين مثل ليام كوينغهام. ومن النادر أن تجدي ممثلين يقبلون بهذا. فالجميع كان يريد مساعدي وتشجيعي على عمل هذا الفيلم."<sup>12</sup>

تكمن أهمية هذا الفيلم في أنه يدفعنا إلى إعادة النظر في كيفية إنتاج أعمال فنية عن فلسطين وعن جذور الاستعمار. فقبل الإبادة ركّز فنانون فلسطينيون على إنتاج أفلام بالعربية لجمهور محلي، أو سينما بنمط تجريبي تُعرض للغرب أمام جمهور المهرجانات التي تنأى بنفسها اليوم عن فلسطين، وفي كلا الحالتين بقي الجمهور

محدوداً. كما كانت معظم الإنتاجات تبدأ من النكبة مغفلة فترة تأسيسية هامة للمشروع الصهيوني في فلسطين. لكن اليوم، ومع وجود جمهور عالمي متعطش للمعرفة ولتشكيل فهم أفضل عن القضية الفلسطينية، ويخرج في مظاهرات حاشدة في كل الأماكن على الرغم من تعرضه للقمع، يجب على السينمائيين التفكير في التيار التجاري الرائج، وكيف بالإمكان إيصال الرواية بتفاصيلها هناك من خلال مجموعة من الأفلام عن التاريخ الفلسطيني تُعرض في دور السينما العالمية. **فلسطين 36** يقدم نموذجاً لكيفية الوصول إلى الجمهور العريض الذي يبحث عن فهم جذري لما يحدث في فلسطين، والفيلم بالتأكيد لا يستطيع تقديم جميع الأحداث. فبدلاً من لوم الفيلم على عدم التركيز على هذا وذاك، لماذا لا يتم إخراج فيلم كامل عن وينغيت مثلاً ودوره في المأساة الفلسطينية؟ أو إخراج فيلم عن شخصيات وطنية فلسطينية شاركت في الثورة؟ فمن الممكن تناول الموضوع من عدّة جوانب، ومن الظلم توقّع أن يتناول فيلم واحد جميع هذا التفاصيل. فالنقد في الحقيقة يجب أن يكون لغياب مزيد من

الأفلام من نوع هذا الفيلم

## الإحالات

- [1] نبيل عناني، **الخروج إلى النور**، مراجعة وتحرير رنا عناني (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2019)، 36-37.
- [2] الفيلم من تأليف وإخراج أن ماري جاسر، ويمزج أدوار البطولة بين ممثلين فلسطينيين وبريطانيين ما يعطي دفعة قوية للفيلم، فهو من بطولة جيريمي أيرونز، الممثل البريطاني الحائز على جائزة أوسكار، والممثلة الفلسطينية المعروفة هيام عباس، وكامل الباشا، وباسمين المصري، وجمال الطويل، وروبرت أرامايو، وصالح بكري، ويافا بكري، وكريم داود عناية، وبيلي هاول، وظافر العابدين، وليام كنينغهام.
- [3] عناني، مصدر سبق ذكره.
- [4] Qassam Muaddi, "When Palestinian Peasants Brought an Empire to its Knees," *Mondoweiss*, 15 February 2026, accessed 30 March 2026.  
<https://mondoweiss.net/2026/02/when-palestinian-peasants-brought-an-empire-to-its-knees/>.
- [5] "Ireland "a laboratory" for colonialism in Palestine," *Trinity College Dublin*, 21 March 2022, accessed 12 February 2026.  
<https://www.tcd.ie/trinitylongroomhub/news/2022/ireland-a-laboratory-for-colonialism-in-palestine>.
- [6] رشيد الخالدي، "الاستعمار الاستيطاني في إيرلندا وفلسطين"، **المركز العربي**، 24 أيلول 2022، شوهد في 22 شباط 2026.  
<https://www.youtube.com/watch?v=ATJaks-f7j4>.
- وانظر كذلك: خالد عودة الله، **سنجة سنيّ يامنة: سيرة فلسطينية لحرية الإمبريالية (كتاب الجنوب 2)** (القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2025).
- [7] محمود الصباغ، "التعاون البريطاني اليهودي والفرق الليلية الخاصة في فلسطين خلال الثورة العربية: 1939-1938"، **مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي**، تشرين الثاني 2017، شوهد في 12 شباط 2026.  
<https://www.ssrcaw.org/ar/print.art.asp?aid=579446&ac=1>.
- [8] الخالدي، مصدر سبق ذكره.

[9] ميمي كابل وسمير حرب ونيكولا بيروجيني، أعراض مرضية: فترة الفيما-بين ودوائر السلطة في حصون تيغارت (رام الله: بينالي الشارقة 13/ "أراضٍ منقلبة"، 2017).

[10] آن ماري جاسر، لقاء مع الجمهور بعد عرض الفيلم في لندن، كانون الأول 2025.

[11] عناني، مصدر سبق ذكره.

[12] سارة قريرة، "فلسطين 36: تاريخ الكفاح الفلسطيني لم يبدأ مع النكبة"، جدلية، 17 كانون الثاني 2026، شوهد في 18 شباط 2026. <https://www.jadaliyya.com/Details/47118>.